

شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد

الشيخ علي سلطان الجلاينة

الفصل الأول للعام ١٤٣٦





السلام عليكم ورحمة الله..

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه والتابعين وأما بعد،

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، ولا سهل لنا إلا ما سهلته لنا أنك أنت الجواد الكريم وبعد، يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وبُعْظِمْ سُلْطَانِك، اللهم مِنّ علينا بالتوحيد، وأَجْعَلْهُ خَالِصًا لوجهك الكريم يا رب العالمين، حياكم الله وبياكم، وسدد على طريق الحق خطايا وخُطَاكُمْ جميعًا.

تكلّمنا في المرة الماضية عن الباب الأول من أبواب كتاب التوحيد، واليوم إن يسر الله عز وجل سنُكمل في هذا الكتاب المبارك.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: باب فضل التوحيد وما يُكفر من

الذنوب، وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، الآية.. وعن عبادة ابن الصامت

رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" أخرجاه البخاري ومسلم، ولهما؛ أي البخاري ومسلم في حديث عتبان رضي الله تعالى عنه وهو صحابي جليل من

البدرين أنصاريّ خزرجي آخ النبي صلى الله عليه وسلم وبينه وبين عمر رضي الله تعالى عنه، وتوفي بخلافة معاوية رضي الله عنه، وهو من أهل المدينة.

قال: ولهما في حديث عتبان رضي الله عنه، "فإن الله عز وجل حرم

على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله"، وعن أبي سعيد

الخضري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "قال

موسى عليه السلام يا ربي علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا

موسى لا إله إلا الله، قال: يا ربي كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى لو

أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأراضين السبع في كفة ولا إله إلا

الله في كفة لمالت لا إله إلا الله" رواه ابن حبان والحاكم صحّ، وللترمذي

رحمه الله وحسنه.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول: قال الله تعالى: (يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم

لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة) انتهى الباب.

هذا الباب هو الباب الثاني من أبواب كتاب التوحيد، وهو باب فضل

التوحيد، وما يكفر من الذنوب، فالتوحيد سببٌ عظيمٌ من أسباب التكفير،

التكفير عن الذنوب، والمصنف رحمه الله قال هنا فضل التوحيد، فالتوحيد ذكرها

بأل التعريف التي تفيد العموم، يعني فضل جميع أنواع التوحيد، الإلهية والربوبية

والأسماء والصفات.

قال: وما يكفر، عطف عليها من باب عطف الخاص على العام،

فالتوحيد فضله عظيم، من فضل التوحيد أنه سببٌ في تكفير الذنوب، قال: وما

يكفر من الذنوب فمن فضائل التوحيد تكفيره للذنوب، والتكفير يعني الترقية، لذلك سُمي المزارع كافرًا؛ لأنه يزرع البذر ويغطيه بالتربة من حيث اللغة، كقار يُسمى.

والذنوب هي المعاصي التي تقع من الإنسان صغرت أم كبرت، وهل المقصود هنا بالذنوب عموم الذنوب، الجواب لا، إنما المقصود بالذنوب التي يكفرها التوحيد هنا ما هو المقصود بالذنوب؟ أقول بارك الله فيكم، المقصود بالذنوب التي يكفرها التوحيد هي الذنوب المتعلقة بحق الله تعالى، فحقوق الله عز وجل مبنية على المسامحة بخلاف حقوق البشر؛ فإنها على ماذا تُبنى حقوق البشر؟ تُبنى على المشاحة والمطالبة، جيد بارك الله فيكم؟

لهذا قال الشيخ رحمه الله باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب؛ أي الصغائر، وإلا فالكبائر لا بد لها من توبة ورجوع إلى التوحيد، فالتوحيد يُفكر الذنوب جميعًا لا يكفر بعض الذنوب دون بعض، فمن أكمل التوحيد بأنواعه الثلاث الربوبية والإلهية والأسماء والصفات كان سببًا في تكفير ذنوبه وهذا سيأتي معنا في الباب الذي يليه، باب من حقق التوحيد دخل الجنة من غير حساب ولا عذاب.

فكلما زاد التوحيد مُحي من الذنوب بمقدار هذه الزيادة، وكلما زاد التوحيد نقول أخواتي بارك الله فيكم أمن العبد في الدنيا والآخرة بمقدار هذه الزيادة، وكلما زاد التوحيد كان العبد متعرضًا لدخول جنة الله عز وجل، ولذلك ساق المصنف بعد هذا الباب هذه الآية التي تلناها قبل قليل { **الَّذِينَ آمَنُوا** **وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** }.



الدرس الثالث

الآن مناسبة هذا الباب للباب الذي قبله، والمناسبات علمٌ جميل طيبٌ ،
المناسبات علمٌ طيب، فالقرآن هناك من العلماء من بحث في مناسبات الصور،
بعضها مع بعض، لماذا جاءت هذه الصورة بعد هذه؟ والعلماء الذين رسخوا
في العلم في مؤلفاتهم تجد أن لا يسطرون السطور هكذا لا بل هم يضعون
الأبواب والكتاب بمخزن عظيم.

فلمناسبة بين هذا الباب، والباب الذي قبله أنه رحمه الله تعالى، عفواً لما
بيّن في الباب الذي قبله حقيقة التوحيد، فماذا قال قبله؟ قال: كتاب التوحيد
وقول الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]،
فهو بيّن حقيقة التوحيد في الباب الذي قبله، وبين معنى التوحيد المطلوب
للعبد، ووضح ذلك بالآيات القرآنية التي قرأناها في المرة الماضية، وأيضاً في
الأحاديث التي تلت هذه الآيات وفي الآثار الواردة عن الصحابة ناسب.
بعد ذلك أن يُذكر القارئ الكريم والقارئة الفضلى ناسب أن يذكرهم
بفضل هذا التوحيد ليرغب الناس به، وناسب أن يبحث الناس عليه؛ لأن أي
شيءٍ عرفت مزاياه فإن النفس ستعلق به وستحرص عليه، وهذا واضح أن
الإنسان إذا عرف شيءٍ وعرف مزاياه وفضائله تعلق به، وهذا حال الناس مع
التوحيد.

الجهلة لا يعرفون الحقيقة تراهم يبتعدون عنه، لكن العالمون به تراهم من
أشد الناس تعلقاً بالتوحيد، لذلك قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، أي أشد الناس خشية لله عز وجل العلماء، ثم بدأ
المصنف يذكر فضائل التوحيد، وفضائل التوحيد كثيرة، وهو يذكره بهذه
الأحاديث التي أخذناها لم يقصد الحصر بل أراد التنويه والتنبيه على أهمها.

قال: وقول الله عز وجل: { **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** }، هذه الآية جاءت بعد ذكر مناظرة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، فهي في سورة الأنعام، فقوله كان يعبدون الكواكب، والذين يعبدون الكواكب يسمون بالصابئة، هؤلاء كانوا بالعراق بعث إليهم إبراهيم الخليل عليه السلام، فدعاهم إلى التوحيد وأنكر عليهم الشرك، وجرت مناظرات بينه وبين أبيه، وبينه وبين قومه، بعد هذه المناظرات كلها قال الله عز وجل: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨٢]، لهذه الآية يظهر أول فضل من فضائل التوحيد، وهو أن الموحد له الأمن التام، والاهتداء التام في الدنيا والآخرة.

الظلم هنا أحواتي بارك الله فيكم، الظلم هنا هو الشرك، كيف عرفنا ذلك؟ الأصل بالظلم أنه غير الشرك، لكن جاء في تفسير هذه الآية كما في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على الصحابة استعظموا هذه الآية، "وقالوا يا رسول الله: أينما لم يلبس إيمانه بظلم؟! فقال صلى الله عليه وسلم: ليس الذين تذهبون إليه، إنما الظلم الشرك، ألم تسمعوا لقول العبد الصالح إن الشرك لظلمٌ عظيم!" الظلم هنا في مراد الشارع هو الشرك، لكن ثمة ملاحظة هامة جدًا وهي نقول أن الإنسان إذا أتى بالمعاصي التي هي دون الشرك، فهذا يؤثر، لكن هل هذا التأثير نفس ذات التأثير؟ هل تأثير الشرك الأصغر والمعاصي الصغيرة، والذنوب الصغيرة نعم لا، فيكون مقصود الشيخ في هذه الآية ابتداء ماذا؟ الشرك الأكبر، ثم يليه تبعًا

الشرك الأصغر، فالذي خلط إيمانه بشركٍ أصغر أضرب هذا الإيمان، لكن ليس إضراره كمن خلطه بالشرك الأكبر.

ليكون مقصود الشيخ من إيراد هذه الآية تحت هذا الباب بيان فضل من آمن ووحيد ولم يلبس، يلبس يعني يخلط، ومن باب الفائدة لكم اللبس تُطلق ويراد به العقائد اللبس الحقيقي الملابس، يقول لبثنا عليها ما يلبسون، لبث يلبس ما يلبسون هذه في العقائد يعني خلطنا عليهم، لكن إذا أردنا لُبس الملابس نقول ايش؟ ليس يلبسُ بفتح الباء، هذه فائدة نسأل الله عز وجل أن يكون فيها خير لكم، لأن اللبس في القرآن ورد في عدة آيات وبعضها قد تشكل عليك.

يعني معنى الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا يخلطوا إيمانهم بشرك، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون، والذي يُلاحظ في هذه الآية أن الظلم جاء مذكراً في سياق النفي، قال: { **وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** }، وكما ذكرنا في المرة الماضية أن النكرة في سياق النفي تفيد ماذا يا أخواني، تفيد العموم، جيد الآن هنا هو الأمن التام في الدنيا، والمراد الأمن التام وعدم حزنه في الدنيا والآخرة، والظلم يذكر العلماء الظلم في اللغة هو وضع الشيء في غير محله.

والظلم في الشرع يُطلق على ثلاثة أنواع، ظلم العبد لنفسه، وظلم العبد لغيره من البشر، والمخلوقات، والشرك، بعضهم يقول ظلم العبد لربه، ولكن هذه العبارة الأولى تركها، لأن الإنسان لا يظلم ربه، بل يظلم نفسه مع ربه، يظلم نفسه مع ربه، النوع الأول وهو ظلم العبد لنفسه، هذا تحت مشيئة الله عز وجل إن شاء غفر له وإن شاء عذبه.

والنوع الثاني ظلم العبد للناس هذا لا يترك الله عز وجل منه شيئاً أبداً، بل لا بد فيه من القصاص، فإن علاقة الناس بعضهم على بعض مبنية على المشاحة إلا أن يسمح المظلومون، والنوع الآخر وهو الشرك وهذا لا يغفره الله أبداً إلا بالتوبة، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، طبعاً هذا على قول جمهور به أهل العلم أن الشرك المقصود به الشرك الأكبر.

الآن مسألة قال أهل العلم الأمن ينقسم إلى قسمين وأرجو أن تنتبهوا لها؛ الأمن المطلق، ومُطلق الأمن، لما نقول الأمن المطلق فنحن بهذه الكلمة نكون قد وصفنا الأمن بأنه مطلق يعني أمن كامل وهو الذي لا يشوبه خوف، وهو أن يأمل الدخول والخلود في نار جهنم، هذا واضح تمام؟ هذا نسميه الأمن المطلق.

الآن النوع الثاني مطلق الأمن، يعني مجرد أمان، فيكون مقصود بها أن يكمن الخلود في النار دول أن يأمن الدخول، فهو قد يدخل لكن لن يُخلد، أنقص من الدرجة الأولى، فأيهما أفضل مُطلق الأمن أم الأمن المطلق؟ الأمن المطلق، نسأل الله عز وجل أن يؤمننا جميعاً الأمن المطلق قولوا آمين.

الآن الموحد لله عز وجل إذا كان توحيده كاملاً فماذا يكون أمنه كاملاً، وإذا كان توحيده ناقصاً فإن أمنه ناقص ويُطلق عليه بمطلق الأمن، قال: وعن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه (الحديث)، ترى أنه قبل قليل، هذا الحديث أخواتي بارك الله فيكم هو عن بعض أهل العلم أعظم أحاديث الرجاء، من أعظم أحاديث العقائد، ولما ذكره الإمام النووي في رياض الصالحين، أظن ذكره في باب الرجاء إن لم تخني الذاكرة.

وقال عنه، ولكن حقيقة لا يحضرون حين قال عنه هذا الكلام، لكنه سيكون واجباً لكم، ما هو أين قال الإمام النووي عن هذا الحديث أنه عمدة في العقائد أو كما قال كلاماً نحو هذا الكلام لعظم هذا الحديث، فإن النبي صلى الله عليه وسلم ترجمها في خمسٍ من العقائد أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمة ألقيها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة، على ما كان من العمل لا بأس.

الآن الشهادة، قال من شهد، (من) شرطية من ألفاظ العموم، وفعل الشرط من شهد، والجواب أدخله الله الجنة أسأل الله عز وجل أن يدخلنا إياها، والشهادة تُطلق على عدة معانٍ، تُطلق على الاعتراف، تُطلق على الإقرار، تُطلق العمل على هذه الثلاثة؛ إقرار واعتراف وعمل، فيقر ويعترف بمدلول هذه الكلمة، ويعمل بمقتضى هذه الكلمة، انتبهن أخواتي بارك الله فيكم.

لابد من الإقرار والاعتراف، الإقرار اعتراف لسانی، ثم العمل لابد من ثلاثة أشياء وإلا لو حذفنا العمل لكان هذا نوعاً من الإرجاء والعياذ بالله، ولو حذفنا الإقرار لذهب كله وهكذا الاعتراف، ثلاثة أركان، فلا بد أن يُقر ويعترف ويعمل بالمقتضى، ومن هذا الحديث نفهم، ومن غيره أيضاً أن العمل يدخل في مسمى الشهادة، كما أن يدخل في مسمى الإيمان، وهذه المسألة طال عليها الكلام عند بعض المذاهب، لكن نحن مازلنا في بداية كتاب التوحيد، لما يُؤمن الله علينا بالدخول في فصول متقدمة، سنبحث هذه القضية مع مشايخنا بارك الله فيهم.

الآن هذا الشاهد لا يُمكن أن يُسمى شاهداً وهو لا يعمل، كما أنه لا يمكن أن يسمى شاهداً وهو لا يعترف، وكما أنه لا يمكن أن يسمى شاهداً وهو لا يُقر، ولكن كما قلت لكم مُرجعة لا يدخلنا العمل في مسميين، بل يقولون يكفي معرفة القلب والنطق باللسان، يعني اعتقاده القلب ونطق اللسان، هناك فرقة يعني أنا هذا الكلام من باب الفائدة يعني، تسمى الكرامية قريبة جداً من المرجعة يسمون من الإسلام هم من أهل الملة، عند هؤلاء القوم الكرامية النطق يكفي، يكفي النطق فقط، تكفي في مسمى الدخول بالموحدين باللسان، نسأل الله السلامة، ولا نريد أن ندخل فيها.

قال: من شهد أن لا إله إلا الله، (لا) نافية للجنس، حربٌ مبنية على عمل إن، لا إله هناك اسم (لا) محذوف، أو عفوًا خبر (لا) نافية للجنس اسمها إله، وخبره محذوف تقديره حق، فنقول لا إله حقٌ إلا الله، وهناك بعض الناس أخطئوا فقالوا لا إله الخبر خالقٌ، أو لا إله ربٌّ، لكن نحن نقول فالتقدير لا إله حقٌ إلا الله، لا معبود بحقٍ إلا الله نفى وإثبات كما تكلمنا عنه في المرة الماضية. مناسبة هذا الحديث للباب قوله صلى الله عليه وسلم أدخله الجنة على ما كان من العمل، على ما كان من العمل، يعني مهما يكن عنده من عمل، لكن عنده عمل فهذا إن عنده أصل التوحيد يدخل الجنة وإن كان عنده بعض الذنوب والمعاصي، واضح؟ هذا معنى مهم على ما كان من العمل، يعني لا بد أن يكون عنده عمل ولو كان قليلاً، وليس معناها ليس عنده أي شيء من العمل، فلا بد أن يكون عنده عمل ولو كان قليلاً.

يقول صلى الله عليه وسلم: "أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"، يعني ما كان عليه من العمل في الحياة الدنيا ولو كان مُقصرًا في هذا

العمل، وحتى لو كان عنده ذنوب ومعاصي، لكن عنده أصل التوحيد الإقرار والاعتراف والنطق باللسان، وعنده أعمال قد تكون قليلة يعني اكتفى بالصلاة الفرائض، واكتفى بالفرائض من الزكاوات، واكتفى و اكتفى كذلك جاء إلى النبي وقال: والذي أثيب لا أزيد عن ذلك ولا أنقص، فیدخله الله عز وجل الجنة على ما كان من العمل.

قال: وما كان عيسى عبد الله ورسوله، يعني يشهد أن عيسى أيضًا عبد الله ورسوله، فيشهد له بالعبودية، وأيضًا يشهد له بالرسالة أولئك الكفرة النصارى الذين قالوا: إنه ابن الله، وبعضهم قال إنه الله عز وجل تجسد الرب به، إذاً العمل المقصود الشارح والطراح، العمل المقصود على ما العمل، يعني قد يفهم هذا الكلام على ما كان عنده من عمل صالح وإن قل، وعلى ما كان عنده من عمل سيء وإن كثر.

فإننا نحن أهل السنة والجماعة نقول إن الإنسان صاحب المعاصي هو تحت مشيئة الله عز وجل، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، حتى أصحاب الكبائر عندنا تحت المشيئة، أولئك الخوارج الذين هم على نقيض من المرجئة أخرجوا العمل أرجئوا العمل، والخوارج قالوا لا بد من العمل، وقالوا إن الله عز وجل لا يغفر، نحن لسنا من هؤلاء ولا هؤلاء، على طرفي نقيض منهم نحن.

إذاً عيسى خلقه الله عز وجل بقوله كن، فلما قال الله عز وجل كن كان، وهناك بعض الناس يُخطأ ويقول يا من أمره بين الكاف والنون في الدعاء، هذا خطأ، أمر الله عز وجل حاصل، لكن الله عز وجل جعل حصول هذا الأمر بعد هذه الكلمة، كن فكان.

الآن إضافة عيسى عليه السلام إلى الله عز وجل هذه الإضافة هل هي إضافة صفة إلى موصوف، أو مخلوق إلى خالق؟ نقول هي إضافة مخلوق إلى خالق، والمضاف إلى الله عز وجل على نوعين؛ فإذا كان هذا الشيء شيء ملموس واضح يعني متجسد فهذا مخلوق يعني هذه الصفة مخلوق إلى خالقه، كأن نقول بيت الله، ناقة الله مخلوق إلى خالق، عيسى عبد الله مخلوق إلى خالق، لكن لما نقول رحمة الله، عفو الله، علم الله، هذه أشياء معنوية فهذه من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، هذا حال المضاف إلى الله عز وجل، إما أن يكون شيئاً معنوياً، وإما أن يكون شيئاً مخلوقاً واضحاً.

فإذا كان المضاف إلى الله عز وجل عيناً قائمة بذاتها، يعني شيء ملموس فهو من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، مثل عيسى وبيت الله وناقة الله وما شابه ذلك.. وإذا كان معنوياً كما قلت لكم، يعني ليس معنوياً بذاتها، فهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، والله عز وجل أعلم.

قال: ولهما في حديث عتبان رضي الله عنه، "إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله"، قوله: من قال لا إله إلا الله يعني القول الذي معه باقي الشروط، فهناك نصوص عامة واردة عن النبي صلى الله عليه وسلم، إذا أبقيناها على عمومها أشكلت علينا، كيف أشكلت علينا؟ يعني هنا من قال لا إله إلا الله هل مجرد القول يكفي؟ لا، كقول النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة.

هل من وقف على عرفة انتهى حجه؟ لا لا بد له من طواف الإفاضة ولا بد له من باقية الأركان، لكن هنا النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يُخبرنا عن أهم الأعمال في الحج وهو الوقوف بعرفة، وكذلك من قال لا إله إلا الله

هي ركن من أركان الإيمان، فلا بد للإنسان أن يأتي بباقي الشروط، وبقية الأركان والواجبات نعم، عمل من القلب وتصديق للجوارح، وعملٌ باللسان. والله يا أخواتي بارك الله فيكم هذه المسألة هي بسيطة لكن سبحان الله الذي يعني بعض الناس الله عز وجل ما أراد به أن يفهمها فذهب بها بعيداً نسأل الله العافية، والمسألة واضحة هُناك ألفاظ عامة وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم، نردها إلى المحكم من قولها، مثل حديث البطاقة، بعض الناس طار به، هذا فقط قال لا إله إلا الله، أنت تعيش ستين سنة، سبعين سنة، ولا تعمل عملاً قط فقط لا إله إلا الله تأتي بها!! نسأل الله العافية طيب كيف نجيب على هذا الحديث حديث البطاقة؟

إجابات كثيرة، من أهم هذه الإجابات أن الناس يا أخواتي بارك الله فيكم قد يأتي يوم القيامة بأعمال صالحة كثير، لكن قد يأتي ضرب هذا وشم هذا وأكل مال هذا وهكذا، فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن لم يبق عليه عنده حسنات أخذ من سيئاتهم فألقيت عليه، فتخيلي بارك الله فيك بعض الناس قد يأتي يوم القيامة بسرقة، وهو لم يسرق، كيف ذلك؟ هذه من ذنوب فلان الذي ضربه ولم يكن عنده حسنات يعطيها لها، فتلقى هذه السيئة عليه.

فنسأل الله عز وجل أن يعفو عنا وأن لا يجعلنا من هؤلاء القوم، حتى لا يأخذ الناس حسناتنا، ويلقوا علينا سيئاتهم، فلانة تأتي بسرقة، تأتي بشرب خمر، تأتي بكذا، تأتي بتبرج، لماذا؟ وهي كانت داعية، ننظر إذا بها قد سفكت دم هذه، اغتابت هذه، وما أكثر الغيبة والنميمة في عند أخواتنا نسأل الله عز وجل

أن يعفو عنا جميعًا فأحرصن أخواني بارك الله فيكم على حفظ اللسان، فإن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

الآن قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يبتغي بذلك وجه الله" إخلاص الإخلاص سر بينك وبين الله عز وجل، لا يعلم به ملكٌ فيكتبه، ولا شيطانٌ فيفسده، قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله حرم على النار"، التحريم تحريم مطلق أو تحريم بعد عمد، التحريم المطلق يقتضي أن الله عز وجل حرم على النار هذا الرجل أو هذه المرأة تحريمًا مطلقًا، فإنه لن يدخلها أبدًا لا ابتداءً ولا انتهاءً، وذلك إما أن يكون لمغفرة الله عز وجل، وإما أن يكون من مر بغير حساب ولا عذاب كما سيأتينا نسال الله عز وجل أن نكون منهم.

ويعني الحديث يحتمل الأول ويحتمل الثاني، أما كان توحيدُه ناقصًا فالتحريم بعد عمد، وهو التحريم للخلود، ودخوله النار تحت المشيئة إن شاء أدخله الله عز وجل النار، وإن شاء لم يدخله النار، وهذا الحديث خاصٌ بالذي أتى بالتوحيد وانتهى عن الشرك، عن بذر التوحيد، لكن عنده بعض الذنوب والمعاصي ومات من غير توبة من هذه الذنوب والمعاصي فهو تحت مشيئة الله عز وجل إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله"، الآن قال قد يأتي بعض الناس يقول هذا النبي صلى الله عليه وسلم قال هنا ما قال، فهو يقصد بها اللسان، نقول له لا يا رعاك الله، المقصود هنا ليس هو فقط قول اللسان، المقصود قول اللسان وقول القلب ويُطلق عليهما بأنه قول، وأيضًا يُطلق على فعل الجوارح بأنه قول، يُطلق على عمل الجوارح بأنه

قول، كيف عرفتِ يا أخت راجية أنه يُطلق على العمل جوارح؟ التحريم المطلق خلاص لم يدخله أبدًا، أما التحريم بعد أمد، لمن كان توحيدُه ناقص، نعم.

ورد في حديث عمار رضي الله تعالى عنه في التيمم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "التيمم ضربة الوجه والكفين، ورد أنه قال أن تقول بيدك هكذا، ضرب بيده الأربع فأن تقول بيدك، فالقول هُنا يُطلق ع الفعل، ف أيضًا في حديث آخر النبي صلى الله عليه وسلم كان يتكلم عن أصحابه، قال إما أن تقول بيدك هكذا، وإما أن تقول بيدك هكذا وهكذا ثم أشار عن أمام خلف واليمين والشمال، يعني أن تنفق المال من هنا ومن هنا ومن هنا فأطلق القول على الفعل.

فلا نقصر القول على قول اللسان كما هو الحال عند أهل البدع، وجه الشاهد من الحديث أن هذه الكلمات، كلمة التوحيد إذا قالها صاحبها مبتغيًا بها وجه الله عز وجل وأدى بشروطها ولوازمها تفضل الله عز وجل عليه وأعطاه ما يستحقه من أنه حرّم الله عليه النار، وهذا فضلٌ عظيم، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الذين يحرم الله عز وجل وجوههم على النار، وهذا من فوائد التوحيد يحرم الله عز وجل بالتوحيد دخول النار، وحرّم الله عز وجل وجهه عن النار؛ يعني يطلق الوجه، والمراد به الكل يعني حرم جميع الجسم.

ثم قال وفي حديث أبي سعيد الخُضري يعني الذي يلي حديث عتبان رضي الله عنه، عن موسى عليه السلام، هذا الحديث طبعًا أخواتي بارك الله فيكم من باب التنبيه، وهذا الأمر اشترطه على نفسي في أول الكتاب، أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه، لكن الحديث بهذا السند ضعيف، بعث أتى من رجل اسمه دراج بن سمعان، وكنيته أبو السمح، هذا الرجل له مناكير كما قال

أهل العلم، روى عن أبي الهيثم، وحديثه عن أبي الهيثم ضعيف، ولذلك قال أبو داوود دراج ابن السمعان مستقيم الحديث إلا في حديثه عن أبي الهيثم، لكن الحديث بشكل عام له شواهد تقوي إسناده.

وهذا الحديث له دلالة على أن الفضل والرفعة في الدين والإخلاص على أن الفضل والرفعة في الدين والإخلاص والتوحيد لله عز وجل، قال الله عز وجل لموسى: (قل لا إله إلا الله)، وهذا فيه على أن الأنبياء قد ينبهون على شيء من مسار التوحيد، فالأنبياء قد ينبهون على شيء من مسار التوحيد، كيف عرفنا ذلك من هذا الحديث؟ عندما قال الله عز وجل له قل لا إله إلا الله، فموسى عليه السلام أولي العزم من الرسل، بل هو كليم الله عز وجل تخيلوا بارك الله فيكم من الله عز وجل أن يختص بشيء عن الناس، فأخبره الله عز وجل أن أعظم ما يختص به الله عز وجل وأنبياءه وأولي العلم منهم هو كلمة التوحيد.

فلا أخص لكلمة التوحيد فهي أفضل شيء على هذا الوجود، أفضل شيء على هذا الوجود، هو قائل لله عز وجل يا رب كل عبادك يقولون، فقال يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غير، يعني كل ما في السماوات من الملائكة والمخلوقات الأخرى، وكذلك الأرض لو تمثلت السماوات والأرض كلها في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة أخرى، لمالت به لا إله إلا الله، وهذا فضل عظيم لهذه الكلمة، وهذا الحديث مناسبته، له مناسبة واضحة وظاهرة أن من أتى بذنوبٍ عظيمة كما سيأتي معنا الحديث الذي يليه أن من أتى بذنوبٍ عظيمة كما سيأتي معنا في الحديث الذي يليه وهو حديث الترمذي رضي الله تعالى عنه، وقال عنه حسن، وفي بعض النسخ حسنٌ صحيح.

قال عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ابن آدم هذا قطعة من حديث قدسي، تجد قراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشركوا بي شيئاً، هذه قرابها مغفرة، قول بقرابها يعني ما يقاربها، إما ملاً أو ثقلاً، ملاًها أو ثقلها وحجمها، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، الخطايا جمع خطيئة وهي الذنوب، والخطايا الذنوب الصغيرة، لقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١]، قال: ﴿لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً﴾، هنا قال أخذناها فيما مضى وهي ماذا؟ ما هي القاعدة أخواتي بارك الله فيكم؟ قلنا إذا جاءت النكرة في سياق النفي أفادت العموم ﴿لَا تُشْرِكْ بِي﴾ أي نوع من أنواع الشرك، هذا الحديث أخواتي بارك الله فيكم، من الأحاديث القدسية، والحديث القدسي يختلف أهل العلم في تعريفه الذي يعني أراه والله عز وجل أعلم، يعني وأنقله عن مشايخي أن الحديث القدسي ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه لقوله في أوله: "قال الله تعالى" أو "عن رب العزة" وهكذا..

لأن هناك خلاف طويل بين العلماء، بعضهم يقول رواه النبي صلى الله عليه وسلم بلفظه، ومعناه من الله، وبعضهم يقول ما رواه بمعناه ولفظه من الله، الخطية طويلة والخلاف فيها واسع، أختصر عليكم الطريق وأقول لكم ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه، بقوله في أول الحديث "قال الله تعالى" أو "قال رب العزة"، أو ما شابه ذلك من الكلمات التي تدل على نسبة الحديث إلى الله عز وجل.

وهو يعني الحديث القدسي قسم من الأحاديث النبوية، فهو منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لكن النبي صلى الله عليه وسلم يرفعه إلى الله عز وجل.

وجل، والحديث القدسي ليس من القرآن بالإجماع ولا يُتعبَد بتلاوته، وإن كان كل منهما من الله عز وجل، ومن باب الفائدة، خارجية باب الفائدة لكن استفيدوا منها، نقول الحديث إذا انتهى سنده إلى الله تعالى سُمي قُدسيًا، نزل إلى الدرك الأسفل، فإذا انتهى سنده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم سُمي مرفوعًا، نزل درجة إلى الأسفل، فإذا انتهى إلى الصحابي سُمي موقوفًا، ينزل درجة أدنى، إذا انتهى إلى التابع ومن بعده سُمي ماذا؟ سُمي مقطوعًا، بارك الله فيكم.

هذا الحديث الأخير فيه أن مغفرة الذنوب مشروطة بتجنب الشرك، وفيه فضل التوحيد، وفيه رد على الخوارج الذين يكفرون من الكبائر، وفيه فضل الله عز وجل وسعته، ومناسبة هذا الحديث من الباب، أن من أتى بذنوب عظيمة، ولو كانت هذه الذنوب والخطايا كثيرة جدًا كقرب الأرض يعني كعظمها، ولو بلغت عنان السماء، كما في باقي الحريف، يعني غيوم السماء، أو قريب من السماء.

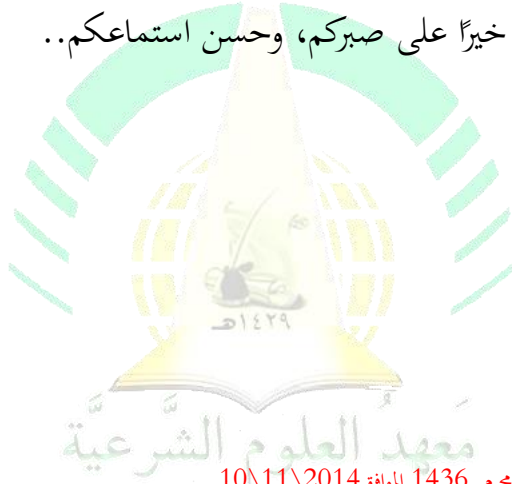
لكنه لقي الله عز وجل بمقدار هذه المعاصي والخطايا، مغفرة، وهذا لأجل فضل التوحيد، نقول من فضل التوحيد أنه يقلب الذنوب والمعاصي ماذا؟ مغفرة من الله عز وجل.

أسأل الله عز وجل أن يمن علينا بفضله وأن يرزقنا التوحيد الخالص لله عز وجل، هذا والله عز وجل أعلى وأعلم، ومسلك العلم إليه أسلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه والتابعين، جزاكم الله خيرًا على صبركم، وحسن استماعكم.

السؤال الثاني: ما الذي يوزن في الميزان؟ نحن في عقيدتنا عقيدة أهل

السنة والجماعة أن أعمال الناس يوم القيامة بميزان له كفتان، العلماء ذكروا

الأشياء التي توزن في الميزان، ووردت أحاديث أعطيكُم طرْفًا منها، لما ذهب ابن مسعود وصعد على شجرة الأراك فظهرت ساقه، فضحك الصحابة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنها أثقل في الميزان من جبل أُحُد" ساق ابن مسعود. وهناك آيات أخرى وأحاديث أخرى، الآن ما هي الأشياء التي توزن في صحيفة العبد يوم القيامة، أريد الجواب مبينًا بالكتاب، أو الموقع الذي أتيت يعني منه بالجواب، أسأل الله عز وجل أن يفتح عليكم فتوح العارفين، هذا والله عز وجل أعلى وأعلم، ومسلك العلم إليه أسلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، جزاكم الله خيرًا على صبركم، وحسن استماعكم..



تم هذا الدرس يوم الإثنين 17 محرم، 1436 الموافق 10\11\2014